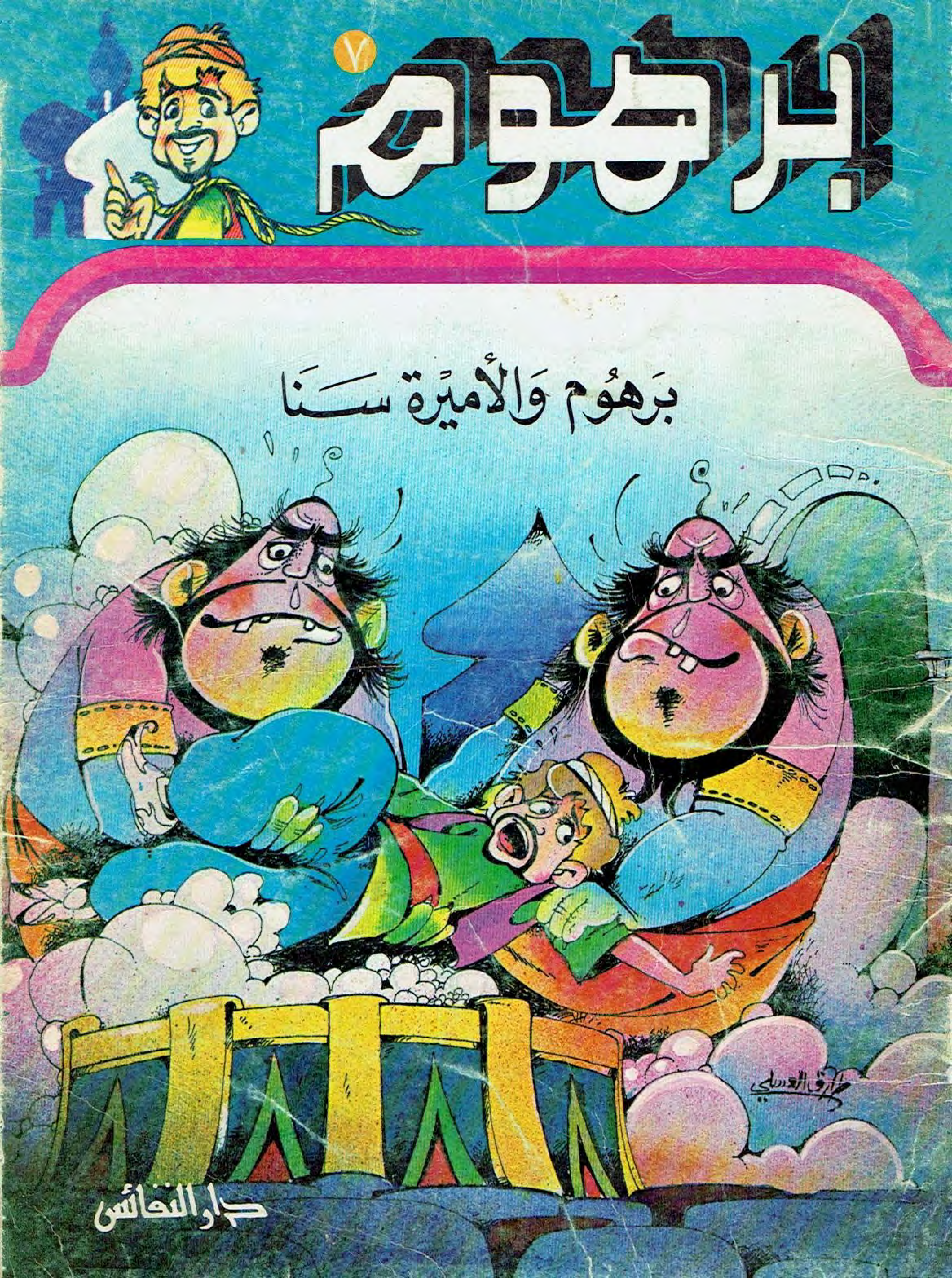
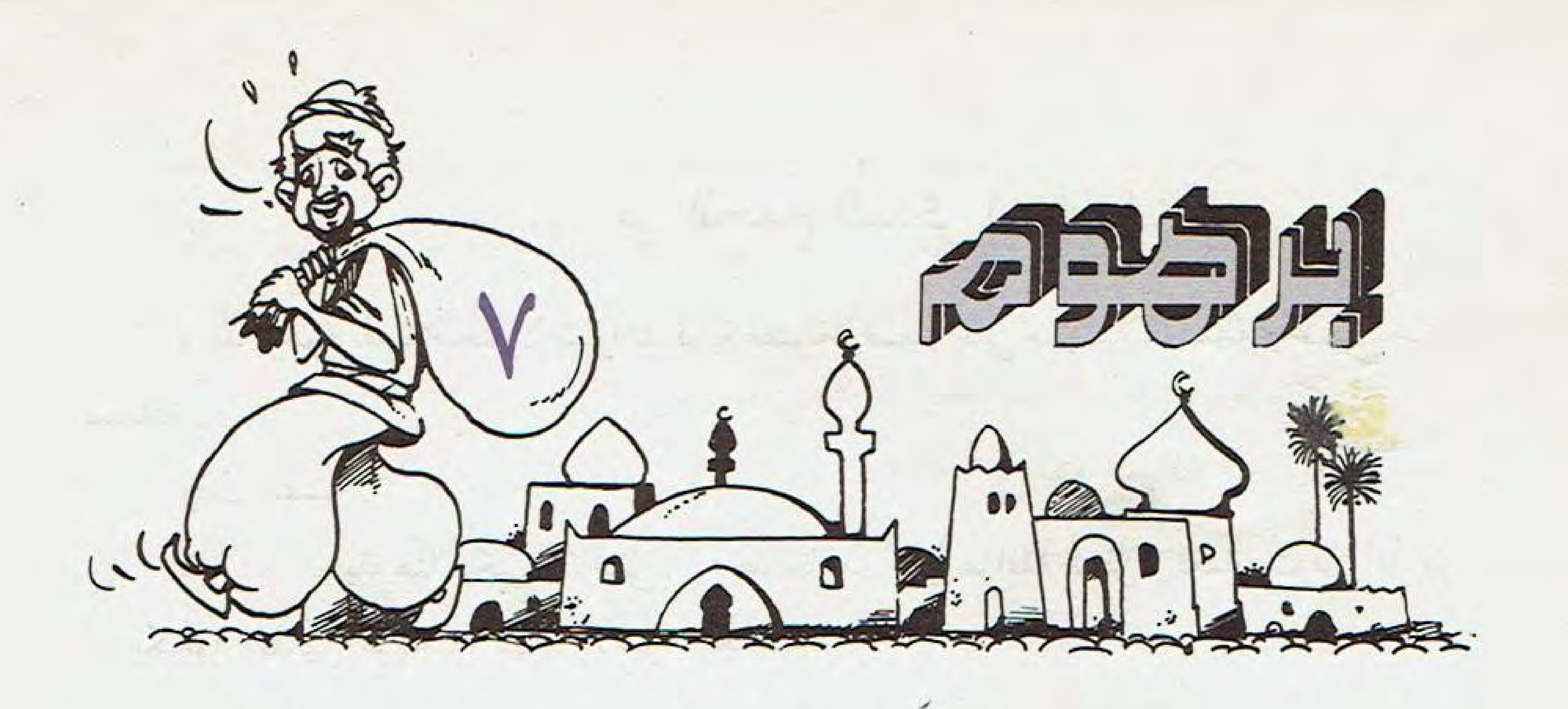

٧
برهوم
برهوم والأميرة سنا
دار النفائس



برهُوم والأميرة سنا

قصة: محمد عبد الحميد الطرزي
رسوم: محمد طارق العسيلي

دار النفائس

ملخص ما نشر في السابق:

برهوم إنسان حاد الذكاء، كثير المرح، شديد الوفاء. تسبّب في شجّ رأس جني صغير، مما أثار والده «قطامش»، فسجن برهوماً في زجاجة ورماه في قاع بحر الظلمات، وهناك وجد بجانبه زجاجة سُجن فيها منذ زمن النبي سليمان مارد يدعى «حبظلم» فتصادقا ثم اختلفا، وبقيا على تلك الحال حتى ابتلع حوت ضخم زجاجة برهوم وتسبب في وصولها إلى قصر ملكة اللؤلؤ، فعرضت عليه الزواج منها فأبى وفاءً لزوجته، ولكنها أصرّت على موقفها وعاقبته بسجنه مع أحدب غريب، ثم هددته بحبظلم الذي ظهر من جديد في مملكة اللؤلؤ. ولكن الثلاثة تعاهدوا على الوفاء ووضعوا خطة للتخلص من سجن الملكة الظالمة، فكانت مكيدتها أكبر، وساعدتها ساحرتها على إعادة زجاجة برهوم الى قاع البحر من جديد. فهرب برهوم والأحدب الذي أصبح أميراً جميلاً بعدما استعاد صورته الأصلية . . . وبعدما وصلا الى مملكة الأمير انطلقا فوراً في رحلة قاسية الى وادي الأفاعي يفتشان عن ساحره عساه يساعدهما في استعادة «حبظلم» وفك أسره وفاء منهما لصديق أسلم على أيديهما.

وفي وادي الأفاعي، تعرض برهوم ورفيقاه للموت في بطون الأفاعي مرات عديدة، وفي إحدى المرات هاجمتهم عدة أفاعي، فهرب كل واحد منهم الى مغارة ليختبيء فيها؛ فضاع برهوم عن صديقه ودليل رحلته. وبينما هو يفكر بطريقة للخلاص من هذه الورطة، إذا به يتعرض لورطة أخرى، فقد تشاجر مع جنيّ غليظ، لم يخلصه منه إلا ظهور أميرة الجن «سنا»، التي استضافته وأكرمته للاستماع بقصصه ومغامراته.

.. في الحمام الملكي!

وجد برهوم نفسه محمولاً بسواعد قوية مفتولة وضعته على ما يشبه الحمالة وأغمض عينيه بسعادة . .

وقال لنفسه :

- ما ألذ الحياة هنا . يجب أن أبقى . . . طالما قدّر علي مرافقة الجن والعفاريت فلا أقل من أن يكونوا مهذبين مريحين كهذه الأميرة الجميلة . . .

وتذكر كلماتها وازدادت ابتسامته اتساعاً فقال في سرّه :

- خطيبها . . ؟ نعم . . لقد قالت هذا بل وأرسلت باستدعائه لتجعل منه حكماً وقاضياً فيما لو لم تعجبه قصتي . . .

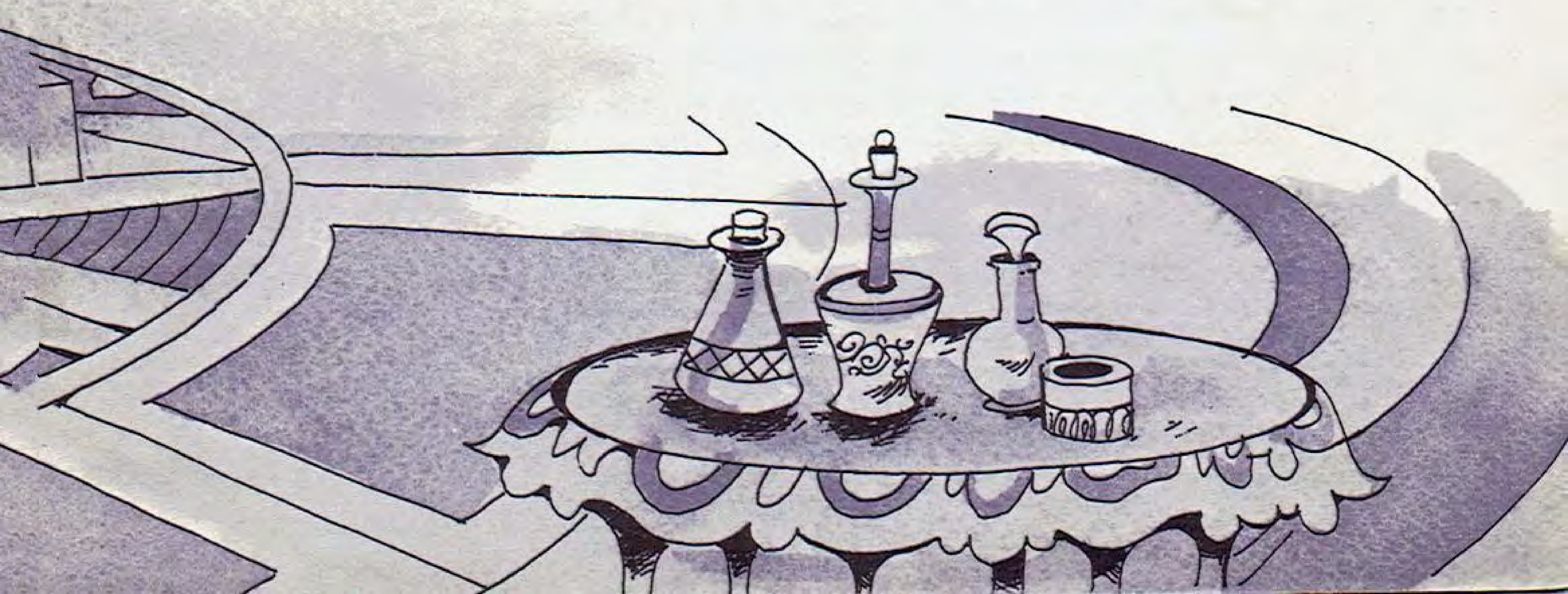
إن هؤلاء العفاريت يحتاجون للتعرف عليَّ عن كثب . . . نعم يجب أن أعلمهم ما لا يعرفونه . . سأشرح لهم وبإسهاب قصة تلك العنيدة التي تلحق ابنتها الصغيرة عندما تزف إلى زوج قبل أن تبلغ من العمر السن المناسبة للزواج .

نعم . . إنهم لا يزالون يجهلون أصول الحياة الجديدة . . هذه فرصتك يا برهوم . . . إن جعبتك مليئة بما لا ينضب له معين من القصص والنوادر وكلها قصص وطرائف جميلة وشيِّقة . . نعم شيِّقة . .

ألم يعجب بها عندما كانت جدته تضمه إلى صدرها وكانت تقصها عليه حتى ينام . . . .

وتنهد برهوم بارتياح وهو مستمر في حديثه مع نفسه ولكنه أحس بالأيدي القوية لا تزال تحمله باحترام وتدخل به إلى الحمام . . .

أوقفوه في منتصف ممرٍ طويلٍ ضيقٍ ، فرشت أرضه بأفخر أنواع السجاد وأغلاها ثمناً ، وتدلت من سقفه ثريّا جميلةٌ من الذهب تتصاعد من مباخرها رائحةٌ جميلةٌ وزكيةٌ .



تراجع الخدم وأصبح وحيداً لفترة انفرجت بعدها الستارة عن أربعة من الرجال الأشداء . . كانت صدورهم عارية ، وكانوا متشابهين في كل شيء ، حتى ليصعب التفريق بينهم جميعاً . . .

لزم برهوم الصمت فترة وهو كالألعوبة بين أيديهم حتى بدأ الدفء يسري في جسده المقرور كلما اقتربوا به من المغطس الرخامي الجميل . . . .

خلعوا عنه ملابسه فصرخ محتجاً : . . .

ـ صبراً يا سيد عفريت . . صبراً أرجوك أنا أخجل من خلع ملابسي أمام الناس . .



أجابه أحدهم دون أن ينظر إليه . . بصوتٍ أجش :

ـ نحن لسنا من الناس .

أجابه برهوم بغباء ، وقد عاوده مرحه و . . .

ـ ماذا . . ؟ لستم من الناس . . . آه فهمت . . . تعني أنكم لستم من البشر . . . ماذا ؟

وسكت برهة ثم قال :

ـ ماذا تكونون إذن ؟

أجابه أحدهم بهدوء :

نحن من الجن فلا يجب أن تخجل منا . .

أجابه برهوم بحزم :

ـ سواء أكنتم من الجن أم من الأنس . . . دعوني . . . أرجوكم . . . فأنا أخلع ثيابي بمفردي . . . أرجوكم غادروا هذا المكان . . . فوراً . .

أجابه الجني بهدوء :

ـ أنظر إلى هناك . . .

وأشار له إلى ما يشبه النافذة ، نظر فرأى برهوم وجوهاً عديدة تحدق فيه ، من خلف الزجاج بشوق ولهفة . .

سأله بعجب :

ـ من هؤلاء . . ؟

أجابه الجني ساخراً :





ـ إنهم بعض أقاربنا جاؤوا ليتفرجوا عليك . .

خطف برهوم الثوب الذي خلعه من على الأرض وحاول أن يرتديه وهو يقول :

ـ جئت بهم ليتفرجوا عليَّ أيها العفريت الوقح؟!لا . . . لن أسمح لكم بهذا أبداً . . .

خلَّص الجني الثوب من يد برهوم فأحسّ بأصابع العفريت كقضبان من الصلب عندما لمست يده لتأخذ الثوب، فقال في سرّه :

ـ إنهم أقوياء جداً . . هؤلاء العفاريت . . . الأفضل أن أتودد إليهم . . . وأصانعهم . . .

ابتسم لجموع المتفرجين وأخذ يلوح لهم بيديه وهم يحملقون فيه من خلف زجاج النافذة . . ظلت يده معلقة في الهواء وقد جحظت عيناه لما يراه وبينه وبين نفسه تساءل بخوف :

كانت النافذة صغيرة ولا يزيد عدد من تجمهر خلفها عن العشرة . . من أين جاءت هذه النافذة الواسعة وآلاف المتزاحمين خلفها . . . لعلي لم أنتبه لوجودهم عند دخولي . . لابأس على أي حال . . سأعالج كل أمر ، ولن أعدم وسيلة لذلك ولو بالحيلة .

ـ قال للجني باسما : أرى أن عدد أقاربك في ازدياد . .

هز الجني رأسه بفرح وقال :

ـ نعم . . . وعندما ينتشر الخبر سيحضر الجميع لمشاهدة الحدث العظيم . . .

نظر إليه ببلاهة وغباء وقال :

ـ مشاهدتكم لي عارياً وأنا أستحم تعتبرونها من الأحداث العظيمة عندكم ؟ . . .

اشترك الأربعة هذه المرة بالرد فقد هزوا رؤوسهم بحركة موحدة تعبر عن الموافقة . . . مما

أثار ضحك برهوم، فقال :

ـ إذن اتفقنا طالما هذه مشيئتكم . . . ولكن ، لي رجاء بسيط قبل أي شيء . . .

أجابه الأربعة بصوت واحد :

ـ وما هو؟ . . . . تكلم . . .

قال متظاهراً بالخفر والحياء :

ـ إن جسدي قذر تراكمت عليه الأوساخ . . . وهذا سيشوه منظري . . . أرى أن أستحم أولاً حتى أبدو جميلاً وبعدها يمكنكم عرضي للجمهور . .

تبادل الأربعة بضع كلمات بلغتهم الخاصة ، لم يفهم منها برهوم حرفاً ، وحملوه على أثرها بما تبقى عليه من ثيابه ودخلوا به خلف ستار سميك ثم تركوه وغادروا المكان . . .

نظر أمامه إلى حوض عميق من المرمر الأخضر ممتلئاً بالماء الساخن المعطر . . تلفت حوله على عجل ثم خلع ثيابه وألقى بنفسه في الحوض . . .

كان سعيداً متلهفاً لمثل هذا الحمام الذي ما حلم يوما أن يراه ولو عن بعد . . . ظلَّ يغطس ويدلك جسده وهو يزداد مرحاً وشعوراً بالسعادة لحظة بعد أخرى ولم ينتبه إلاَّ بأيدٍ قوية تنتشله من الماء ، لتفارقه نشوته وحبوره . . . فقد ظهر العفاريت من جديد للقيام بواجبهم إذ سمع أحدهم يقول :

ـ والآن . . . لقد حان وقت الاستحمام . .

لم يدرِ برهوم حقيقة ما حدث ، وكل ما أحس به هو أيادٍ صلبة أخذت تحك جلده بقوة لتزيل عنه الأقذار والأوساخ التي تراكمت عليه منذ مدة ، والتي كونت في أسفل قدميه طبقة قذرة ، يسعى العفاريت الأربعة لإزالتها . . . وبينما كان يجري له كل هذا شاهد خامساً يدخل حاملاً أدواته في يده وكلها من خالص الذهب المرصع بالدر والجوهر . . .

أمسك العفريت الخامس برأس برهوم وأخرج موساه من بين أدواته فتراجع برهوم برأسه مذعوراً وقال برعب :

ـ صبرك يا سيد عفريت . . .

لم يدعه العفريت يتم كلامه بل قال له بلهجة آمرة حازمة :

ـ هيا . . . اقترب ولا تضع الوقت سدى . . .

قال برهوم بحدة ، هو الآخرْ :

ـ قلت صبرك . . . ألا ترى كيف أهتزُ بين أيديهم ؟ فلو حاولت أن تحلق لي هذه اللحية لانقطعت رقبتي بعد لحظة واحدة . . .

أصاخ له الجني السمع هذه المرة حتى أنهى برهوم كلامه ، ثم عاد وأمسك من جديد رأس برهوم المسكين . . . كانت أصابعه كالكماشة فلم يعد يملك معها القيام بأية حركة وفي أي اتجاه . . وشعر بشيء يلمس جلد وجهه بسرعة البرق . . .

أفلتت الكماشة رأسه وضغط العفريت عليها من جديد ، فاستجاب له برهوم ، وغاص برأسه في الماء حتى كادت تزهق أنفاسه . . .

وفجأة ، رفعوه من هذا الحوض ، وأزاحوا ستراً كشف عن مغطس آخر تفوح منه رائحة زكية منعشة . . . ومرة أخرى ألقوا به في الماء الفاتر المنعش لبعض الوقت ، ثم . . . جاءت اللحظة الحاسمة . . .

الآن عليه أن يخرج من الماء عارياً كما ولدته أمه ، ليجفف جسده ويرتدي الملابس الفاخرة التي يعدها الخدم أمامه . . .

قال باسماً :

ـ والآن ناولني من الثياب ما أستر به عورتي فأخرج من الماء وإلاّ بقيت هنا إلى الأبد . . .

مرة أخرى تشاوروا في الأمر ولبوا له مطلبه . . فابتهج وخرج من الماء سعيداً ولم ينس أن يُلقي نظرة على الجمع الذي كان يتزايد لحظة بعد أخرى وأخذ يلوح لهم بيده محيّياً . . . كان يبتسم ساخراً من حماقة هؤلاء العفاريت . . وهو يتساءل في قرارة نفسه :

ـ لماذا كل هذا الاهتمام بمشاهدتي عارياً . . ؟

انتهى برهوم من ارتداء ثيابه الغالية . . .





ثم قال بمرح :

ـ أيها الأخ العفريت . . كنت أشعر بالجوع قبل أن أستحم . . والآن ، وبعد الاستحمام لم يعد في طاقتي المزيد من الصبر . . يجب أن تعطوني أي شيء لآكله . . أكاد أهلك من شدة الجوع . . . . . .

أشار له الجني ليتبعه فسار في ممرات متعرجة فُرشت كلها بأفخر المفروشات وكُسيت الأرض فيها بأثمن سجادٍ وقع عليه البصر . . .

وفجأة . . . توقف الجني عند بابٍ من الذهب المحفور برسومٍ ونقوشٍ غريبة . . . وانحنى . . فإذا البابِ يفتح ببطء شديد لتظهر خلفه قاعة رائعة تفوق بروعتها كل وصف . . . وفي صدر المكان شاهد الأميرة الصغيرة جالسة على عرش فخم من الذهب المرصع بالجواهر وعلى عرش مماثل جلس فتى في مثل سنِّها ، فما إن رأته حتى قالت بصوتها الجميل :

ـ مرحباً بضيفنا العظيم تفضل . .

وقف برهوم في مكانه . . مشدوهاً بعظمة المكان ، ثم قال :

ـ ولكن . . .

قاطعه الفتى بلهجة آمرة :

ـ تقدم . . تقدم . . .

سار برهوم على مهل حتى أصبح أمامهما وقال وهو يحييهما بإيماءةٍ من رأسه وتلويحةٍ من يده :

ـ السلام عليكم . . .

كان يظن أنهما يجهلان معنى كلمة « السلام عليكم » ولذلك تعمد أن يحرجهما بها حتى يدركا أن الكثير من الأمور لا زالت مجهولة لهما . . ولكنهما فوتا عليه الفرصة عندما أجاباه معاً وبخشوع عظيم . . .

ـ وعلى المؤمنين السلام . . .

فغر برهوم فاه من شدة دهشته وذهوله وقال :

ـ كأنكما مؤمنين . . .

أجابته الأميرة سنا :

ـ الحمد لله رب العالمين إننا مسلمان . . وأشارت بيدها ، ونهضت من مكانها وقالت :

ـ تقدم يا أمير مشارق لأعرفك على ضيفنا . . فهو بدوره أمير وابن ملك . . .

نفخ برهوم أوداجه . . . نعم يجب أن يبدو كما يجب أن يكون الأمراء . . .

وقال للأمير الصغير وهو يقترب من عرشه :

ـ أيها الأمير العزيز ما اسمك ؟

أجابه الفتى وهو يشير إلى صدره بسبابة يده اليمنى :

ـ أنا . . . اسمي الأمير مشارق . .

قال برهوم وقد عاودته روح النكتة والظرف :

ـ يا سمو الأمير مشارق . . ألا ترى معي أن الحديث سيكون طلياً إذا ما دار بيننا ونحن نجلس أمام مائدة الطعام ؟ . . .

ابتسمت الأميرة سنا وقالت :

ـ أنت على حق . . تفضل واتبعني . . .

وتقدمتهما الأميرة سنا وسار برهوم إلى جوار الأمير مشارق بعظمة مفتعلة تدعو إلى الضحك . . .

ولكن ما إن ولجت به الأميرة غرفة الطعام ووقع بصر برهوم على المائدة الحافلة بألوان

الطعام الشهية المتعددة حتى نسي إمارته وهجم كالوحش الكاسر ليتخذ له مكاناً وهو بمنتهى السعادة والفرح :

ـ تفضلا .. لله ما أكرمكما ...

ودون أن ينتظر الرد ، انقض على الطعام كالعقاب الجائع وأخذ ينهشه نهشاً ويبتلعه بسرعة عجيبة والأميران يتأملانه بدهشة .. وعندما أحس بالشبع وبدأ بالتهام الحلوى . قالت الأميرة :



ـ ها قد جئنا إلى المائدة ولكنك لم تتلفظ بكلمة واحدة من القصة التي وعدتنا بروايتها . . . .

ضحك برهوم وهو يلوك قطعة كبيرة من الحلوى الشهية وقال :

ـ من أين يخرج الكلام وفمي دائماً محشو بما لذ وطاب ؟ . . . سننتهي وشيكا من تناول الطعام ونتحدث ما طاب لنا الحديث . . .

وبرَّ بوعده ولكن ليس وشيكا كماقال ،بل بعد أن أتى على عدة صحون تحوي أصنافاً متعددة من الحلوى . . وغادروا المائدة إلى مجلس جميل يطل على بستانٍ فائق الجمال . . . أشارت عليه الأميرة بالجلوس فجلس بعظمة مصطنعة ، قالت الأميرة سنا على غير انتظار :

ـ أيها الأمير هلاَّ أنجزت وعدك لنا ؟

أجابها باسماً :

ـ طبعاً . . طبعاً . . ولكن ألا ترى مولاتي أن كوباً من الشاي اللطيف ستجعل للحديث بهجةً ،وتخفف من هذا الحمل الثقيل الجاثم على أمعائي . .

وأخذ يتحسس بطنه ومعدته بكفه . . .

ابتسم الأمير مشارق وقال :

ـ كدت أن أعرض عليك عدة أقداح من الشاي . . . فقد أكلت بشراهة مثل « كاكو » ، قردي الشقي . . .

انقلبت سحنة الأمير برهوم ، . . . وصرخ بغضب مستنكراً هذا التشبيه :

ـ ماذا قلت أيها الأمير . . ؟

قال الأمير وهو يضحك :

ـ قلت إنك تشبه قردي الشقي « كاكو » . .





قال برهوم :

- أتشبهني بقردك « كاكو » ؟ . .

ضحكت الأميرة سنا وقالت :

- إنه لم يقصد بقوله هذا إهانتك . . ولكن « كاكو » بالفعل يأكل بشراهة بحيث لا يقع عليه بصرُك إلاَّ وهو يلوك شيئاً . . أي شيء . . .

قال برهوم يحدث نفسه ، شارد الذهن ، لا يلتفت إلى أحد ولا يسمع ماذا يدور حوله من كلام :

- يا لي من غبي أحمق . . أغضبني أنه شبَّهني بقرده ، ولماذا لم يكن يغضب من زوجته السليطة عندما كانت تنعته بما هو أحط وأحقر . . فليكن قرداً أو شبه قرد طالما أن الطعام بهذه الجودة ومتوفر وقتما يشاء . . فليكن قرداً كبيراً في نظره . . قالت الأميرة :

- لا بأس لو بدأت في سرد أحداث القصة ريثما يعدون لك الشاي ؟ .

استراح برهوم في مجلسه ونقل بصره بينهما . . ثم قال :

- سأبقى هكذا . . وسأقص عليكما من القصص أجملها وأروعها ولكن بشرط . .

سأله الأمير مشارق بلهفة :

- أي شرط ؟ . . .

أجابه باسماً : . .

- سنتفق على إشارة معينة . . إذا تسرب الملل إلى نفسيكما من القصة فلا مبرر للاستمرار في سردها، فتقولا . . « سيكا . . سمباتيكا . . »

بدت الدهشة على محيا الأمير ، فيما رددت الأميرة : :

- « سيكا سمباتيكا » . . ؟ ما معنى هذا . . ؟

أجابها برهوم ضاحكاً :

ـ لو كنت أعرف معناها لأجبتك . . ، ولماذا أخفي عنكما ؟ . . .

اتخذ برهوم مجلسه على أريكة وهو يبتسم . .

وجلست الأميرة سنا على أريكة قريبة من مجلس برهوم وإلى جوارها الأمير مشارق . . .

أصلح برهوم من هندامه ، وقال وهو يشير بيديه متسائلاً ، ويرفع حاجبيه :

ـ اتفقنا على اللغز ؟ . . . أليس كذلك ؟ . . .

قالت الأميرة باستسلام : :

ـ كما تشاء . . . وهل يجدي الاعتراض ؟ . . .

تلفت برهوم حوله ، ونقل بصره في وجوه الحاضرين ، فلمح بعض الحراس يقفون غير بعيد من مجلس الأميرة ، فأدرك أن أمره سينتهي على أيديهم في حالة فشله ولكنه فكر بسرعة ، وقال يسأل :

ـ هل نبدأ في سرد قصتنا الأولى ؟ . . .

ظهر الفرح على وجه الأمير مشارق فقال :

ـ أتقول . . ؟ القصة الأولى ؟ . . . وهل هناك أكثر من قصة ؟؟

قال برهوم :

ـ ألا تسمع ما أقول ؟ أظن أن كلامي واضح . .

قال الأمير :

ـ رائع يا برهوم . . أنا أحب القصص حباً جماً . .

ارتاحت أسارير برهوم وقال بثقة بعدما أحس أنه ربح معهما الجولة الأولى ، وأثار فضولهما لانتظار المزيد من القصص :

ـ إذن أنصتا جيداً لما سأقصه عليكما . . .

اعتدل في مجلسه وقال بعد أن تنحنح :

ـ بما أن المقام مقام ملوك ، فلا يصح إلاَّ الحديث عن مآثرهم وفضائلهم ، لذلك سنبدأ بقصة الملك « بسمان » وابنه الأمير « مظلوم » . . ففي سرد أخبارهم تربية للشعب ، ومنفعة للعباد .

قالت الأميرة سنا مقاطعة :

ـ برهوم تذكر الذي اتفقنا عليه . . .

نظر إليهما برهوم بعظمة وكبرياء ، ثم قال بحزم :

ـ كنت على وشك البدء بالقصة ، ولكن لن أفعل قبل أن تقبلا بشروطي ولآخر مرة ؟ . . . . . .

تبادل الأمير مشارق مع الأميرة نظرة حائرة متسائلة . . . لكن الأميرة سألت :

ـ وما هي شروطك ؟ تكلم . . . فالوقت يمر دون أن تتكلم . . .

قال برهوم بهدوء وببساطة :

ـ أولاً:لا أريد أن يقاطعني أحد وأنا أتكلم . . . مفهوم ؟ . . . ثانياً: اصرفا هؤلاء الأصنام الذين يقفون أمامنا . . . وقد صوبوا إلي أبصارهم ، كالنبال المصوبة إلى الطريدة ، فإنني أظن أنه تتربص بي الدوائر . . .

ابتسمت الأميرة وأشارت بيدها إشارةً خاصةً اختفى على أثرها كل من كان بالمكان من حراس وخدم . . . . قالت الأميرة بعدها :

ـ ها قد صرفتهم . . .

ثم قال الأمير يستحثه على البدء بالقصة :

ـ هلا بدأت حديثك ؟ . . كلنا آذان صاغية لما تقول . . .

اطمأن برهوم بعض الشيء . . . وإن كان السرور يغمر كيانه ، ثم عاد يقول :

ـ لم أتم الشرط الثاني بعد ، ولكن قبل الاتفاق على الجزء الثاني لي سؤال أريد الإجابة عليه ؟ .

قالت الأميرة :

ـ سل ما تريد . .

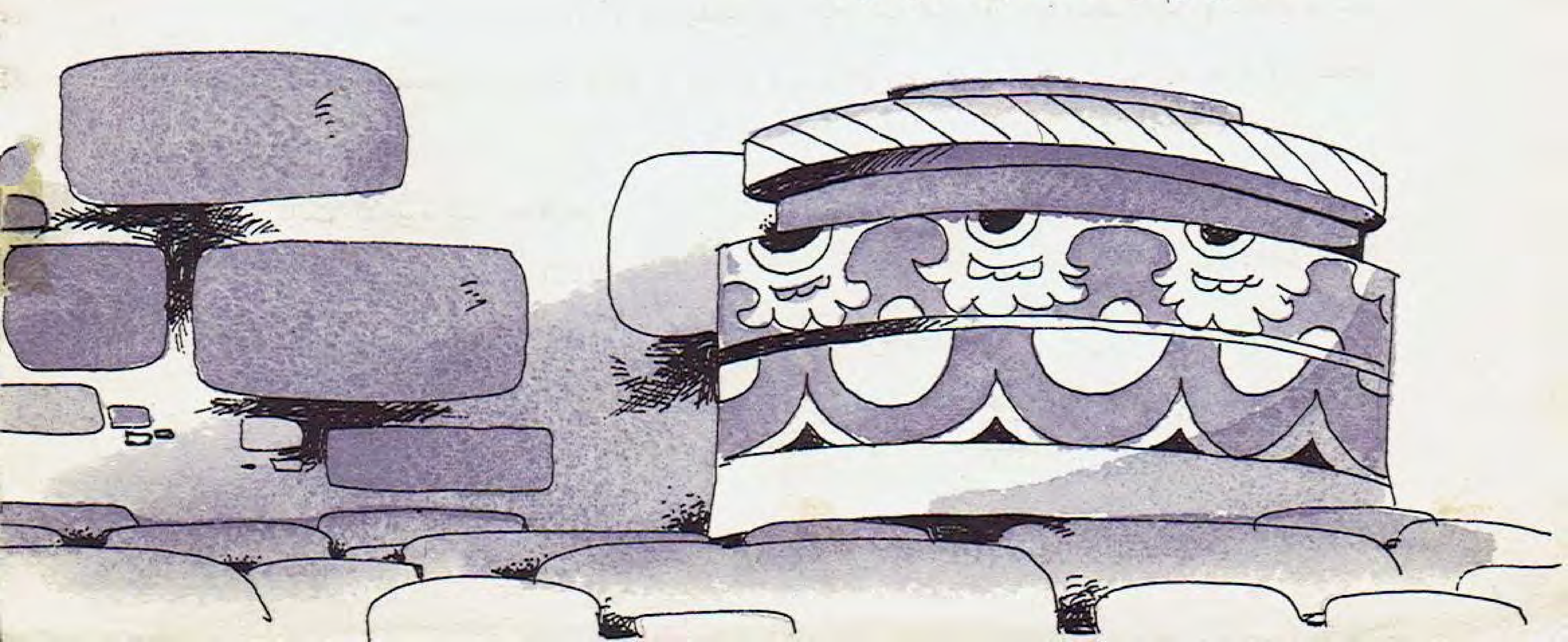
بادرها برهوم على الفور .

هل سينضم إليكما من سيسمع القصص التي سأسردها عليكما . . .

قالت الأميرة بشيء من الضيق :

ـ هل للشرط بقية بعد هذا السؤال أيضاً ؟ . . .

قال برهوم وكأنه غضب لاعتراضها :



ـ نعم له بقية . . وماذا في ذلك ؟ .

قال الأمير وقد ضاق به وبشروطه ذرعاً :

ـ ما هذا يا برهوم . . . . أظن أن هذا يكفي . . . لا أريد سماع المزيد . . . قالت الأميرة :

ـ أتركه يا مشارق . . .

ثم التفتت إلى برهوم وقالت :

ـ أسرع إذن وهات ما عندك وآعلم أن الكثيرين ينتظرون نتيجة اختبارك ، فإن شهدنا لك أنها قصص جميلة حضروا كلهم لسماعها والثناء عليك . . . وإلاَّ . . .

قالت عبارتها الأخيرة بشيء من الدلال والمزاح ، فهي تحب القصص ولا شك .





فما كان من برهوم إلَّا أن أجابها وهو يتحسس كرشه العامر : . .

ـ تعلم أميرتي ،أن من يتحدث وقتاً طويلاً ينتابه الجوع . .

لذلك يجب أن نتفق على إشارة نفهمها ، وتفهما منها أنني بحاجة للطعام . .

ـ سأقول سيكا . . لم يدعهما يجيبا ، بل تابع :

تك . . تك ـ فتأمرا لي بالطعام على الفور . . أليس كذلك ؟ . . .

قالت الأميرة سنا :

ـ إنه طلب سهل وميسور .

أجابها برهوم بسؤال ماكر :

ـ كم من الوقت قدرتما لقصتي ؟؟ . .

أجابه الأمير مشارق بصبر نافد :

ـ يبدو أنها لن تنتهي ، لأنها لن تبدأ . . . وأظن أن ما تقوم به استجواب وليس عندك النية لسرد قصة . . . قصة واحدة ؟ . . . ويجب أن تعلم أننا لم نقدر لها وقتاً محدداً . . متى بدأت ، نستطيع عندها تقدير الوقت اللازم . . . .

قاطعته الأميرة قائلة :

ـ إذا راقت لنا سنستمع إلى كل ما تقول حتى تفرغ جعبتك من الكلام . . .

حك برهوم رأسه مفكراً . . . ثم أردف يقول :

ـ آه هذا ما أرغب في سماعه . . . ماذا سيجري لي إن فرغت جعبتي . . ؟ ماذا ستفعلان بي ؟ . . .

هل تسلماني للمارد الذي يريد البطش بي . . . . .

قالت الأميرة سنا :

ـ لا . . . إن كانت قصصك جميلة . . .

ثم التفتت إلى خطيبها مشارق وقالت تسأله :

ـ إنه محق . . ماذا نفعل به إذا فرغت جعبته ولم يعد لديه ما يقصه علينا ؟ . .

فكر مشارق برهةً ثم قال :

ـ إن كانت جميلة نسأله عما يريد ونحقق له ما يشاء مهما كان طلبه صعب التنفيذ . . .

تهلل وجه برهوم فرحاً وفرك يديه ، وشمر عن ساعد الجد ، وابتسم وهو يقول :

ـ اتفقنا . . . لنبدأ . . . كان ما كان . . .

وقبل أن يتم عبارته ، دخل أحد الخدم يحمل آنية فاخرة عليها أكواب الشاي المطلوبة . . . تناولها برهوم وقال :

ـ ما رأي أصحاب السعادة لو انتهينا من تناول الشاي أولاً ؟

ردت عليه الأميرة موافقة . . . . فقد استبد بهم جميعاً العطش من كثرة الكلام والنقاش ، فما كان من الأمير مشارق إلاَّ أن قال :

ـ حسناً . . بعد الشاي . . .

استراح برهوم بعد تناول كوب الشاي . . وبرّ بوعده ، فبدأ القصة قائلاً :

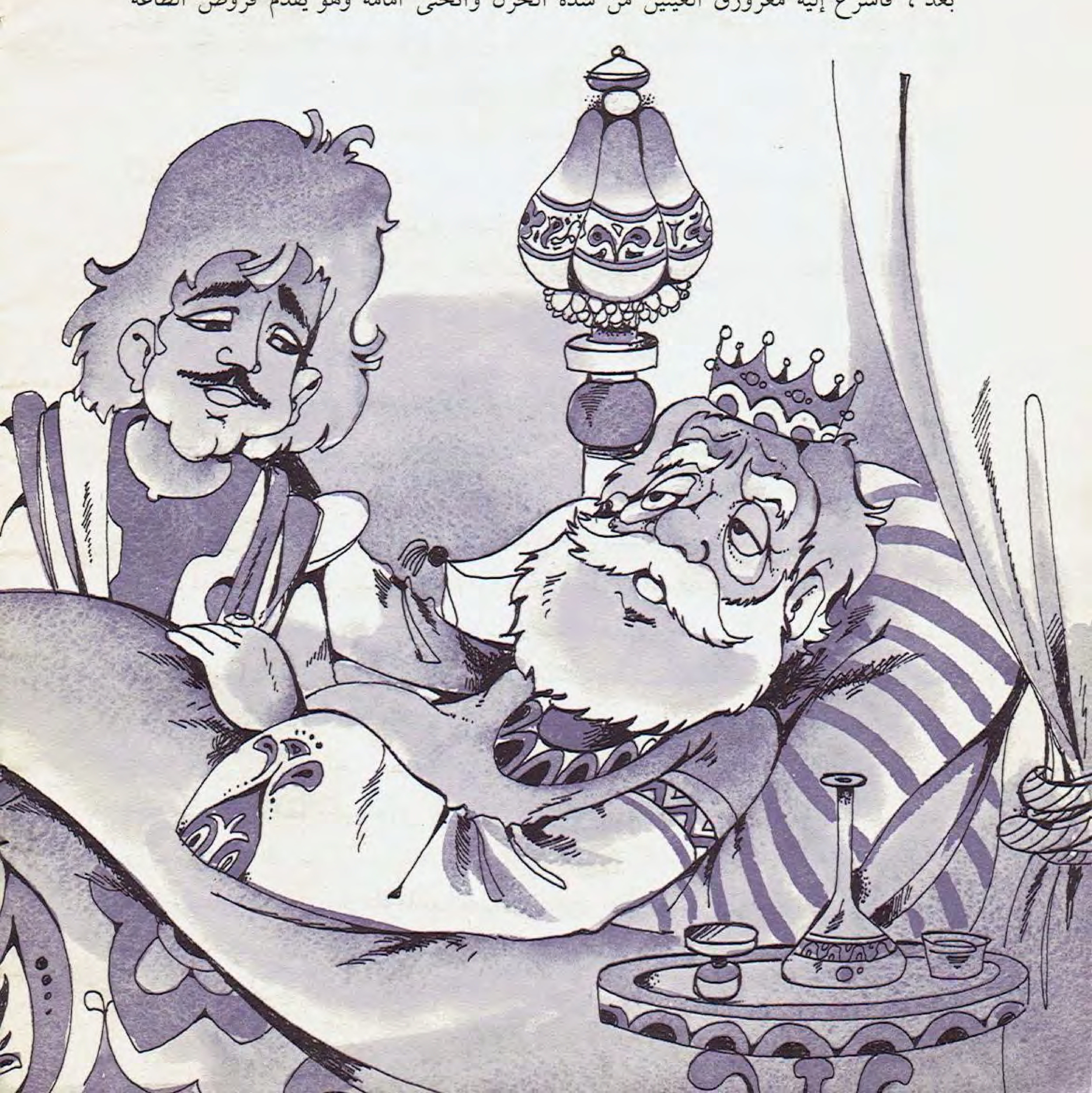
ـ كان ما كان . . . في سالف العصر والأوان . . كانت مملكة تدعى مملكةالنهرين ،يعيش أهلها في رخاء وسعادة بعد أن كثر الخير وفاض . . . وسادت العدالة كل شبر من أرضها ،وقد تساوى الغني والفقير في نيل الحقوق حتى قضي على الظلم والفساد،فعاش الناس بسلام وأمان يدعون لملكهم الصالح « سمهان » بدوام الصحة وطول العمر مدى الأزمان . . . ولكن « ما كل ما يتمنى المرء يدركه » . . . فقد فوجئوا ذات صباح بالمنادي ينادي في أرجاء البلاد معلناً عن اعتكاف الملك عن الظهور لإصابته بمرض عضال . . . . استبد الهم والحزن بقلوب أبناء الشعب الطيب ، الوفي لملكه ؛ وانتابهم قلق كبير من حدوث ما لا بدَّ من حدوثه لكل مخلوق على وجه الأرض . . . فقد أحسَّ بضعف شديد ، وأيقن أنه الحق من ربه ، فلما شعر الملك بدنو أجله همس يردد اسم وحيده وولي عهده الأمير « بسمان » الذي خرج في رحلة صيد قبل مرض والده وملازمته الفراش . . .

أرسل كبير الوزراء في أثره أشد الفرسان يجوبون القفار ويفتشون في المراعي والوديان ،بحثاً عن الأمير الشاب حتى عثر عليه أحدهم ، وأبلغه رسالة ملك الملوك والده، الذي ينصحه بسرعة

العودة إن شاء أن يودع والده قبل موته . . .

أظلمت الدنيا في عيني الأمير ، وعلى الفور انطلق مع مرافقيه يسابق الريح ، وكان كلما سقط تحته جوادٌ استبدله بآخر ، حتى نفق في سبيل ذلك ستة من خيرة الجياد من فرط التعب . . . .

أخيراً وصل الأمير إلى قصر والده الذي غص بالأمراء والأعيان ، بينما أحاطت به جموع الشعب من كل جانب . . أسرع الأمير بسمان إلى مخدع والده ، فصادف كبير الوزراء في طريقه حزيناً يائساً وهو ينصت إلى آخر ما قرره الأطباء . . . ولكنه استأذنهم عندما لمح الأمير عن بعد ، فأسرع إليه مغرورق العينين من شدة الحزن وانحنى أمامه وهو يقدم فروض الطاعة



والولاء ، فقال الأمير بقلق :

ـ كيف حال أبي . . . ماذا حدث له يا كبير الوزراء . . . ؟

أطرق برأسه ولم يجب فأدرك الأمير أن والده في النزع الأخير ، لذلك حث الخطى ودخل بلهفة إلى مخدع الملك . . . ولكنه جمد في مكانه عندما وقع بصره على وجه والده الشاحب . . . تقدم وركع على إحدى ركبتيه إلى جوار الفراش وأمسك براحة والده الباردة وقبلها بحب ، وبللها بدمعه الهتون . . .

استفاق الملك « سمهان » من غيبوبته ، وفتح عينيه ليرى وحيده قربه ، فارتاحت نفسه وهدأت . . . فنظر إلى ولده وقال بصوت ضعيف مخنوق :

ـ بسمان يا ولدي ـ الحمد والشكر للّه الذي أنعم علي واستجاب دعائي وألهمك العودة قبل رحيلي عن هذه الدنيا الفانية . . .

حاول الأمير أن يتجلد ويتذرع بالصبر ،ولكن حزنه البالغ غلب على أمره ، فانهمرت دموعه على خديه . . . ولما هدأت نفسه ، قال لأبيه وهو لا زال يذرف الدمع ، وقد تقطعت نبرات صوته :

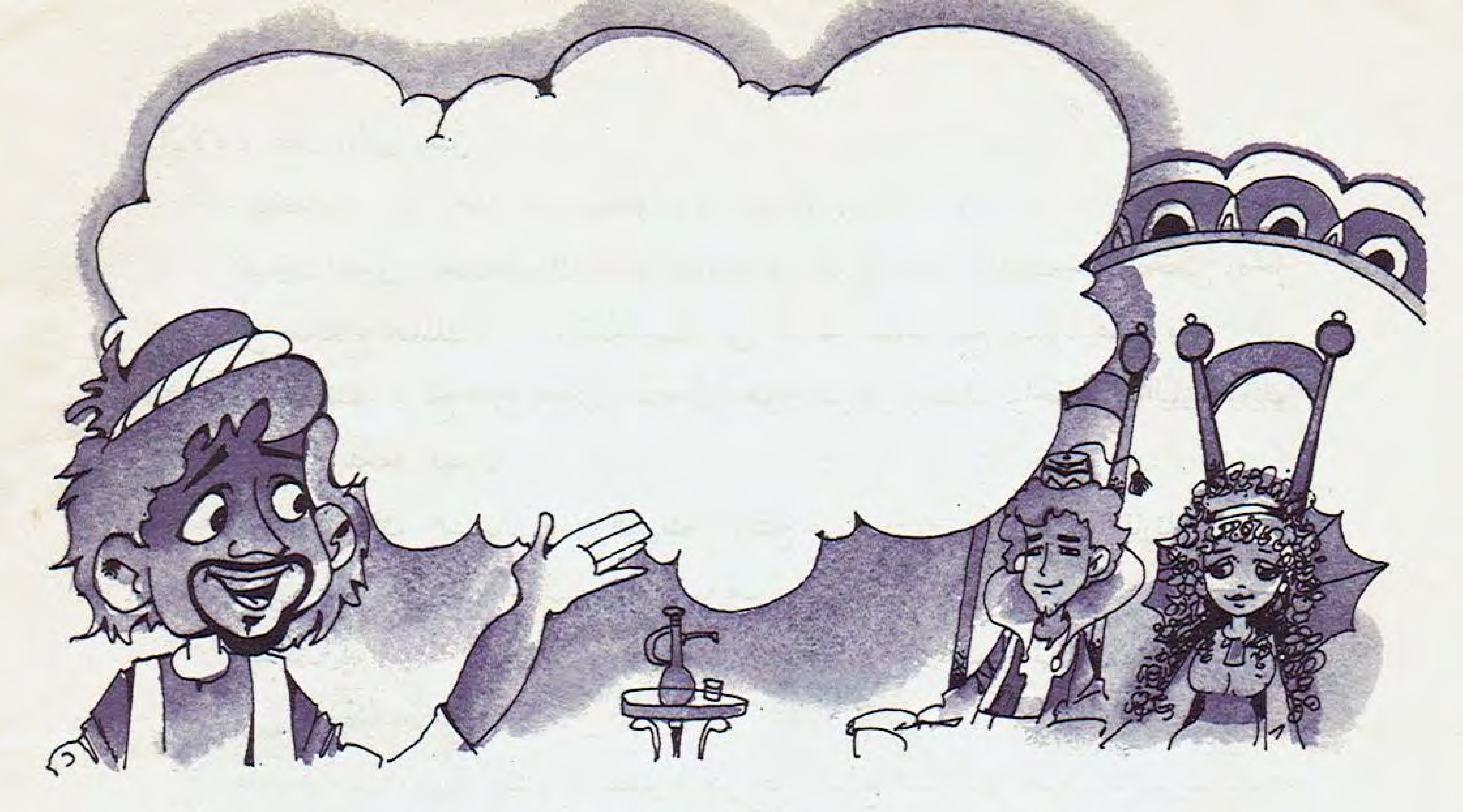
ـ لا . . لا . . يا أبي . . أنت بخير وفي القريب العاجل ، بإذن اللّه ، تزول عنك هذه الوعكة العارضة ويتم الشفاء بمشيئة الخالق العظيم . . . .

ضغط الملك على يد ولده بأصابعه اليابسة وهمس قائلاً :

ـ ساعدني على الجلوس يا بسمان . . .

أجلسه الأمير بسمان ودثّره جيداً بالأغطية الفاخرة . . . وهو يحاول ان ينظر في عينيه ليعرف حالته . . ومدى خطورة مرضه . . . ولكن الملك قال بصوت متهالك متقطع النبرات :





ـ إنها النهاية يا ولدي . . . أحس دنوَّ الأجل فقد صدر نداء ربك . . . فإنني . . . لذلك أريد منك أن تنصت إلى ما أقول وأن تعمل به . . فكلنا إلى زوال يا ولدي . . . « كل ما عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » وأحمد اللّه وأشكره أنني ألقاه طاهراً نقياً لا أحمل من أوزار الدنيا شيئاً

وسكت برهة ليلتقط أنفاسه، وقال: فيما كان الأمير بسمان ينصت بانتباه شديد لما يقول والده :

ـ ثلاثٌ احذرها تحيا في سلامٍ وأمانٍ: . . . لا تأمن للدهر وإن صفا . . . ولا تأمن للمال وإن كثُر . . ولا تأمن لمن هو أقوى منك وأشد فلا تقرِّبه منك . . .

كان الملك يبذل قصارى جهده ليسدي لولده النصح . . . والأمير بسمان يرقب بذعرٍ نور عينيه الذي خبا ، ولون الموت الذي لا تخطئه عين؛ وهو يزحف على صفحات وجه أبيه اليابس . . .

فتح الملك المحتضر عينيه للمرة الأخيرة وهمس :

ـ أللّهم أحسن وقوفي بين يديك . . أشهد أنني عشت مؤمناً وأموت مؤمناً وأُبعث بإذنك مؤمناً . . . وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأنَّ محمداً رسول اللّه . . .

وسكنت حركة الملك وأدرك الأمير بسمان أن والده قد مات . . فجلس مهموماً حزيناً يبكيه بمرارة بالغة ولوعة لا توصف . . .



الحلقة القادمة

برهوم يعمل حكواتياً

في الحلقة القادمة يتابع برهوم حكايته، عن الملك الصالح «سمهان». وكانت حكايته رائعة، جعلت الأميرة «سنا» وخطيبها الأمير مشارق يعجبان بالقصة ويولعان ببرهوم، ويقفان إلى جانبه في شجاره مع بعض أمراء الجن.

دعونا نستمتع بحكايات برهوم التي يرويها للجن. ونطلع على أسباب شجاره مع أحد أمراء الجن «صفصان» في الحلقة القادمة فإلى اللقاء.

الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م
شارع فردان - بناية الصباح وصفي الدين تجاه سيار الدرك - الطابق الثالث
ص. ب ٦٣٤٧ - ١١ - بيروت - هاتف ٨١٠١٩٤ - برقياً: دانفايسكو